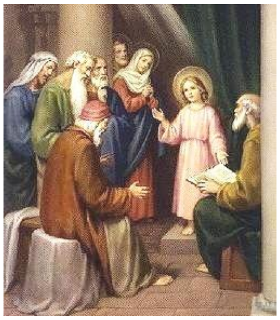

# الرب في هيكل قدسه

(حب ٢: ٢٠)

**بمناسبة عيد**
**دخول المسيح الهيكل**

في هذا العيد التكريسي – عيد دخول المسيح إلى الهيكل – وهو أحد الأعياد السيدية الصغيرة السبعة – نجد ابن الله المتجسِّد يُقدَّم لله أبيه كمَثَل أعلى لتكريس كل قلب للرب، وذلك في الهيكل المكرَّس لعبادة الرب، لأنه هو الذي قال بعد ذلك لأبويه: «أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لأَبِي؟» (لو ٢: ٤٩)؟ وكانت أُمّه، التي كرَّست حياتها وبتوليتها للرب، هي التي تحمله على ذراعيها، وفي الهيكل تنبَّأ عنه مكرَّسان للرب هما سمعان الشيخ وحنَّة النبية (لو ٢: ٢٢-٣٨).

وقد كتب آباء كثيرون في هذا الموضوع نقتبس من كلامهم الآتي:

يقول ق. كيرلس الكبير(١):

[لما أكملت السيدة العذراء أيام تطهيرها الأربعين، حملت على ذراعيها كلمة الله الجالس عن يمين الآب إلى أورشليم، وجاءت به إلى حضرة الآب في هيئة بشرية مثلنا، وبحسب الناموس أُحصيَ بين الأبكار، لأن البكر كان يُعتبر مقدَّسًا ومكرَّسًا لله ويُقدَّم له في بيته المقدَّس. كم هي عظيمة وعجيبة خطة الخلاص! «يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ!» (رو ١١: ٣٣)، فإن ذاك الذي هو في حضن الآب، الابن المشارك لأبيه في عرشه وأزليته، ها هو خاضعٌ لحدود الطبيعة البشرية ويُقدَّم قربانًا لأبيه مع أنه هو المعبود والممجَّد معه من الكل]!

[«وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ (لا ١٢: ٨) زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ». وما هو رمز اليمام والحمام؟ اليمامة هي أكثر طيور الحقل ارتفاعًا في صوتها، أما الحمامة فهي لطيفة وديعة. هكذا مخلصنا تعامل معنا بكل لطف

(1) *On St. Luke*, Sermons III. Commentary

ووداعة كالحمامة، كما أنه، مثل اليمامة، ملأ العالم كله بحلاوة صوته العذب، لأنه مكتوب: «صَوْتُ الْيَمَامَةِ سُمِعَ فِي أَرْضِنَا» (نش ٢: ١٢)، فالسيد المسيح تكلَّم برسالته الإلهية لخلاص العالم كله. ثم إنه قدَّم نفسه رائحةً زكيةً حتى يقدِّمنا بواسطته وفي نفسه لله الآب، وهكذا طرح عداوته لنا التي سبَّبها تعدِّي آدم وحطم سلطان الخطية التي طغت علينا كلنا].

**ماذا فعل البار سمعان الشيخ؟**

يقول ق. الشهيد ميثوديوس[٢]:

[تجاهل سمعان الشيخ ضعف الجسد ولبس قوة الرجاء، وأسرع تجاه الناموس ليستقبل سيد الناموس ... قدوس إسرائيل، ذاك الذي وعد سمعان أن يُريه تجسُّده الإلهي الذي أعاق انطلاقه[٣]، ذاك الذي وهو في الهيكل كان في نفس الوقت في أعلى السموات على عرشه الملكي وعلى مركبة الشاروبيم.

لقد أعلن الروح القدس لسمعان الأخبار السارة، فوصل حالًا إلى الموضع المقدَّس وكأنه كان يطير في الهواء بخطواته السريعة، ولكنه بدون أن يلتفت إلى الهيكل مدَّ يديه المباركتين إلى سيد الكل، مرتِّلًا بألحانٍ تليق بهذا الحدث المُفرح: إنني أتطلَّع إليك يا رب إله آبائي ... أنت هيكلنا القدوس، وفيك نصلِّي، أنت معطي الناموس إياك نطيع «فَإِنَّ مَعْرِفَتَكَ هِيَ الْبِرُّ الْكَامِلُ، وَالْعِلْمَ بِقُدْرَتِكَ هُوَ أَصْلُ الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ» (حك ١٥: ٣) ... سأمجدك، سأسبِّح اسمك لأنك صنعت أمورًا عجيبة ... إذ حملت بشريتنا على عاتقك، منيرًا بأشعة نورك المتألق للجالسين في

(٢) كان أولًا أسقفًا لمدينتي "أوليمبيوس" و"باتارا" في مقاطعة "ليكية" في أسيا الصغرى، وقد شهد له آباء عديدون. وكما يذكر ق. جيروم، فقد نُقل ميثوديوس بعد ذلك إلى إيبارشية صور في فينيقية (لبنان)، ثم في نهاية آخر الاضطهادات وأبشعها، نحو سنة ٣١٢م استُشهد في "خالكيس" باليونان، ولو أن البعض يرى أنه استُشهد في "خالكيس" التي في سوريا حيث إنها هي الأقرب إلى صور.

*Oration concerning Simeon and Anna*, ANF vol. VI, p. 383.

(٣) يذكر سنكسار ٨ أمشير عن تقليد قديم أن سمعان الشيخ كان أحد الـ٧٢ عالمـًا الذين ترجموا العهد القديم إلى اليونانية (أي الترجمة السبعينية)، ولما شكَّ في الآية: «هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا» وأراد أن يستبدل كلمة "عذراء" بكلمة "فتاة" قال له ملاك الرب كما في رؤيا أن يكتب الآية كما هي وأنه لن يرى الموت حتى يرى ذلك بعينيه، ولذلك يُقال إنه عاش حتى حمل المسيح وقال: «الآن يا سيد تطلق عبدك بسلام حسب قولك».

الظلمة وظلال الموت! لقد منطقت بتجسدك حقويك بالبر يا مَنْ أنت هو البر ذاته ... إن فرحي لا يُحدّ منذ أن رأيتك يا مخلص البشر].

ويقول ق. أمبروسيوس[٤]:

[حقًّا إن سمعان الشيخ كان رجلًا بارًّا، لأنه لم يكن يبحث عما لذاته بل عن تعزية شعبه: "متوقعًا تعزية إسرائيل". أما عن نفسه فكانت رغبته الوحيدة هي أن يتحرر من رباطات العيوب البشرية، منتظرًا هذا الواحد الموعود به والذي شهد له، ومجرد أن رآه قال: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ...». لقد شعر أنه في سجن الجسد وأراد أن يتحرر منه وينطلق إلى الرحب في الله. إذن، فكل مَنْ يريد أن يصير حُرًّا فليأتِ إلى أورشليم ويبحث عن مسيح الرب، وليحمل كلمة الله على يديه مثل سمعان ويحتضنه بذراعي إيمانه، وليطلب أن ينطلق مثل سمعان حيث أنه لا يهتم بالموت طالما أنه يتطلَّع إلى الحياة الحقيقية]!

ثم يقول ق. ميثوديوس:

[وبينما كان هذا القديس هكذا متهلِّلًا ومبتهجًا بفرح عظيم هذا مقداره جاءت والدة الإله بالصبي يسوع، وكأنها أخذت من مذبح نقي غير دنس تلك الجمرة الحيَّة الفائقة الوصف وهي ملتحفة بجسد بشري بين يديها المباركتين وكأنهما الملقاط المُمسِك بالجمرة، حملته إلى ذاك البار وكأنها تحثه قائلةً: خذ الرب واحصد الثمر الكامل الذي لرجائك الذي لم يَخِبْ... تقبَّل الكنز الذي بلا عيب والغِنى الذي لا يمكن أن يُنزَع مِمَّنْ يأخذه!... احتضن يا خادم الهيكل وعانق الحياة ذاتها واحيا]!

[فأخذ سمعان البار على ذراعيه الشائختين ذاك الذي رغم طفولته فهو نفسه القديم الأيام، وبارك الله ونطق بكلماته المعروفة، ولسان حاله يقول: الآن علمتُ قوة حب الله التي لا يُعبَّر عنها حيث رأيتك آتيًا في الجسد إلينا لتعتني بنا وتهتم بخلاصنا...! وعند دخول الرب إلى هيكله لا بدَّ أن يكون قد حدث في الخفاء ما رآه إشعياء النبي: «وامتلأ البيت من مجده، والسيرافيم واقفون حوله، لكل واحد ستة

---

(4) Corpus Scrip. Eccles. Latin., 32 p. 73.

أجنحة... وهذا نادى ذاك قائلًا: قدوس قدوس قدوس...» (إش ٦: ١-٣). وهذا يذكِّرنا بأقوال الأنبياء: «الرَّبُّ فِي هَيْكَلِ قُدْسِهِ» (حب ٢: ٢٠)، «اسجدوا للرب في دياره المقدَّسة، فلترتعد الأرض كلها من أمام وجهه» (مز ٩٥: ٩ سبعينية). ها هو إله الآلهة قد ظهر في صهيون، وتجلَّى بهاء جماله في أورشليم و«نورٌ أشرق للصديقين وفرحٌ للمستقيمي القلوب» (مز ٩٧: ١١)].

**«وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ ... وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ»:**

قال ق. أمفيلوقيوس(٥):

[سَمِعَت أُمُّ المخلص نبوة سمعان عن ابنها: «هَا إِنَّ هذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ (أي القيامة من موت الخطية) كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ» (لو ٢: ٣٤). ولعلها تعجَّبت قائلةً: ماذا تقول؟ كيف يكون في المسيح سقوط؟ أليس بالحري قيام وانتصار لمَنْ يتبعه؟ ولعل سمعان أجابها: ألا يكفيكِ أنكِ نلتِ شرف الأمومة للرب؟ ولكن اعلمي يا سيدتي أنَّ ابنكِ وإلهكِ هذا هو الذي أوحى لي بالروح أن أنطق بهذه النبوات! إنها لا بدَّ أن تتم حيث سيسقط في الدينونة كل الذين لا يؤمنون به ولو كانوا من شعبه، وسيقوم إلى حياة حقيقية أبدية كل الذين يؤمنون به ولو من الوثنيين! لذلك قال الرسول بولس: «إِنَّهُمُ اصْطَدَمُوا بِحَجَرِ الصَّدْمَةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: هَا أَنَا أَضَعُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ، وَكُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لَا يُخْزَى» (رو ٩: ٣٢و٣٣).

«وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ» σημεῖον: لماذا؟ لأن كثيرين ممن لا يؤمنون به سيقاومونه حتى يتسببوا في صلبه وتعذيبه ... ويستهزئون به ... وسيتركه تلاميذه كلهم ويهربون! وقال الرب نفسه عن هذه العلامة نفسها: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً (σημεῖον أي علامة)، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي

---

(٥) من مواطني كبادوكية، وُلد عام ٣٣٩م، اعتكف بالقرب من نزينزا، ثم رُسم أسقفًا على أيقونية، وكثيرًا ما كان يستشير ق. باسيليوس الذي كتب مقالته عن الروح القدس استجابةً لطلبه، ثم حضر أمفيلوقيوس جنازته حيث مدحه في خطبته الجنائزية. كما أنه حضر مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م الذي أدان الهراطقة أعداء الروح القدس، كما أنه قاوم الأريوسية وغيرها. ويسميه ق. غريغوريوس: "أسقف بلا لوم ورسول للحق". ورقد في الرب عام ٤٠٠م. PG 39: 44.

بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ» (مت ١٢: ٣٩و٤٠). انظر كيف دُعيت مِحَن الصليب "آية σημεῖον" لأنها هي نفس الكلمة التي استخدمها سمعان الشيخ. وحزقيال النبي عندما ذكر أمر الله لملائكته في يوم الدينونة أن يقتلوا الجميع بلا شفقة قال: «وَلاَ تَقْرُبُوا مِنْ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السِّمَةُ (أو العلامة σημεῖον)» (حز ٩: ٦). هكذا دُعِيَ الصليب "آية" أو "علامة" ليس في العهد الجديد فقط بل حتى في القديم الذي تنسجم كل أموره مع العهد الجديد. هذه هي علامة الصليب واسطة خلاص العالم][٦].

وقال ق. يوحنا ذهبي الفم[٧]:

[هذه العلامة (الصليب) ستتعرَّض للمقاومة... لأنه إن لم يتعرَّض الحق للمقاومة بين الناس لا تتزكَّى الفضيلة، بل إن صراعًا لا بدَّ أن يحدث لكي يتجلَّى نور الحق للنفس المثابرة! هذه العلامة تُهاجَم لأنه بذلك تزكَّى الشهداء ونالوا أكاليلهم وشهدوا علنًا للعالم كله بقوة نعمة المسيح التي مكَّنتهم من تحمُّل عار الصليب مع المصلوب طمعًا في مجد القيامة الأبدية التي بلغوها! ولكن عند مجيء المسيح الثاني لن يجرؤ أحد على مقاومة علامة صليبه بل «تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ...» (في ٢: ١٠و١١)].

أما العلَّامة أوريجانوس فيقول[٨]:

[كل ما قيل وكُتِب عن المخلِّص يُقاوَم: فهناك هراطقة يقاومون ولادته من عذراء، وآخرون أنكروا أن له جسدًا بشريًّا، إذ يرون أنه جاء مباشرةً من السماء، وأنكر البعض قيامته من الموت، وآخرون أنكروا دخوله العليَّة والأبواب مغلَّقة... لذلك تنبَّأ سمعان بأن المسيح وسمته وكل ما سيُكتب عنه سيُهاجم من كثيرين].

**«وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ، لِتُعْلَنَ (أي لتُكشَف) أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ»:**

يقول في ذلك ق. أمفيلوقيوس:

---

(٦) يقول المزمور: «أعطيت خائفيك علامةً σημεῖον لكي يهربوا من وجه القوس» (مز٦٠: ٤سبعينية)، وهي نفس الجملة التي نرددها في تسبيحنا في إبصالية الجمعة.

(7) Combefis BPC.

(8) Homily 17 on St. Luke.

[سَمِعَتْ مريم عن هذا السيف الذي سيجوز في داخل نفسها فشعرت بالضيق لأنها لم تعرف بعد قوة القيامة! إنه بعد قيامة ابنها لن يوجد أي سيف بعد بل فرح وتهليل]!

**وماذا عن حَنَّة النبية؟**

يمجد ق. أمفيلوقيوس في هذا العيد البتولية في السيدة العذراء والترمُّل في حَنَّة النبية قائلًا:

[مكرَّمة هي البتولية الحقيقية والترمُّل الحقيقي أي اللذان انتصرا «فِي سَاحَةِ الْمَعَارِكِ الطَّاهِرَةِ» (حك ٤: ٢)... إن اسم "حنَّة" ذاته يعني "النعمة"، فمعنى اسمها صار هو قداسة حياتها، لأنها وإن قضت حياتها على الأرض مترمِّلةً ولكن كانت لها صلة قوية بالسماء، ضعيفة بالجسد ولكنها قوية بالروح. كرَّست حياتها للصلاة والصوم ولم تفارق الهيكل نحو ٨٤ سنة، بل كانت مسرتها في تسبيح الله فوصلت إلى مرتبة الأنبياء! لم تعش على الخرافات العجائزية، بل كانت تتأمل في الإلهيات، لقد فاقت حَنَّة على الأرملة التي ذكر بولس الرسول شروطها (١تي ٥: ١٠)... مَنْ مثلها في جيلها صار إناءً للروح القدس حتى إنها أشارت إلى الرب المتجسِّد لجميع منتظريه: «وَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ، وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ»!... هذه الأرملة الفقيرة كشف لها روح الله فميَّزت الرب رغم أنه كان طفلًا عاديًّا، ورغم تفاهة التقدمات التي قُدِّمت من أجله فقد اعترفت أن هذا الطفل الضعيف هو المسيح الرب غافر الخطية ومحطِّم سلطانها... بهذه التنبُّؤات أكملت الطوباوية حَنَّة رسالة ترمُّلها التي كرستها للرب بكل غيرة قلبها... بعد سبع سنوات من زواجها ترمَّلت واحتفلت بسبت راحتها الروحية لمدة ٨٤ سنة حيث نالت في هذا العيد عطية يوم الرب الذي لم تلطِّخ ثوب عُرسها له إلى الأبد]!

ويحث العلامة أوريجانوس مثيلاتها قائلًا:

[أيتها النساء اللواتي فقدن أزواجهن تشبَّهن بالقديسة حَنَّة، لأنه لم يكن أمرٌ عرَضي أو من قبيل الصدفة أن روح الله يسكن فيها]!

(البقية صفحة ٣٤)